سلسلة ذخائر تراثنا

٢٤

فضائل أمير المؤمنين عليه السلام

تأليف

عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب

من أعلام القرن الثاني

ويليه

جمل الآداب في نظم كتاب عيسى بن دأب

للشيخ محمد طاهر السماوي النجفي

تحقيق

الشيخ محمد مشكور

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

سلسلة ذخائر تراثنا
٢٤

فضائل أمير المؤمنين عليه السلام

تأليف
عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب
من أعلام القرن الثاني

ويليه
جمل الآداب في نظم كتاب عيسى بن دأب
للشيخ محمد طاهر السماوي النجفي

تحقيق
الشيخ محمد مشكور

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

بيروت - بئر العبد - مقابل بنك بيروت والبلاد العربية - بناية نخلة
تلفاكس: (٠١) ٥٤١٤٣١ - هاتف: ٠١-٥٤٤٨٠٥ - ص.ب: ٢٤/٣٤
البريد الإلكتروني: alalbayt@inco.com.lb
www.al-albayt.com

مقدّمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين الرسول الأمجد، الذي سمّي في السماء بأحمد، وفي الأرض بأبي القاسم محمّد صلى الله عليه وآله، وعلى آل بيته الطيّبين الطاهرين، واللعنة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

قال الله في محكم كتابه الكريم: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (١).

اتّفقت الرواة من الفريقين ـ الخاصّة والعامّة ـ على أنّ هذه الآية، بل السورة كلّها نزلت في أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وزوجته فاطمة، وولديه الحسن والحسين عليهما السلام حين آثروا المسكين واليتيم والأسير ثلاث ليالٍ على إفطارهم، وطووا عليهم السلام ولم يفطروا على شيءٍ من الطعام، فأثنى الله عليهم هذا الثناء الحسن، وأنزل فيهم هذه السورة، وكفاك بذلك فضيلة جزيلة تتلى إلى يوم القيامة.

---

(١) سورة الإنسان ٧٦: ٨ ـ ٩.

والقصّة - في نزول السورة - هي: مرض الحسن والحسين عليهما السلام، فعادهما جدّهما النبي صلى الله عليه وآله ووجوه العرب، فقالوا: يا أبا الحسن، لونذرت على ولديك نذراً، فنذر صوم ثلاثة أيّام إن شفاهما الله سبحانه وتعالى، ونذرت أُمّهما فاطمة عليها السلام كذلك، وكذلك فضّة، فبرئا وليس عندهم شيءٌ، فاستقرض عليٌّ عليه السلام ثلاثة أصوع شعير من يهوديّ، على أن يغزل له صوفاً، وجاء به إلى فاطمة عليها السلام فطحنت صاعاً فأخبزته، وصلّت المغرب وقرّبته إليهم، فأتاهم مسكين يدعو لهم وسألهم فأعطوه، ولم يذوقوا إلّا الماء، فلمّا كان اليوم الثاني أخذت صاعاً فطحنته وخبزته وقدّمته إلى الإمام عليّ عليه السلام، فإذا يتيم في الباب يستطعم فأعطوه، ولم يذوقوا إلّا الماء، فلمّا كان اليوم الثالث عمدت إلى الباقي فطحنته وأخبزته وقدّمته إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فإذا أسير بالباب يستطعم فأعطوه، ولم يذوقوا إلّا الماء، فلمّا كان اليوم الرابع وقد قضوا نذرهم، أتى عليّ عليه السلام ومعه الحسن والحسين عليهما السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله وبهما ضعف، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله، حتّى نزل جبرئيل عليه السلام بهذه السورة[1].

وقد ذكرت قصّة أُخرى في شأن نزول هذه الآية، وهي التي يرويها ابن عبّاس: إنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام أجّر نفسه؛ ليسقي نخلاً بشيءٍ من شعير ليلة حتّى أصبح، فلمّا أصبح وقبض الشعير، طحن ثلثه فجعل منه شيئاً ليأكلوه، يقال له: الحريرة، فلمّا تمّ إنضاجه أتى مسكين فأجروا إليه الطعام، ثمّ عمل الثلث الثاني، فلمّا تمّ إنضاجه أتى أسير من المشركين فسأل فأطعموه، وطووا يومهم كذلك[2].

---

(١) مجمع البيان ١٠/٢٣٣.

(٢) أسباب النزول للواحدي: ٢٩٦، ذخائر العقبى: ١٠٣.

هذا وقد ذكر الثعلبي في تفسيره لهذه القصّة أشعاراً هي:

ما أورده عند ذكره المسكين، فقال الإمام عليّ عليه السلام:

فاطم ذات المجد واليقين ... يا ابنة خير الناس أجمعين
أما ترين البائس المسكين ... قد قام بالباب له حنين
يشكو إلى الله ويستكين ... يشكو إلينا جائع حزين
كلّ امرء بكسبه رهين ... وفاعل الخيرات يستبين
موعدنا جنّة عليين ... حرّمها الله على الضنين
وللبخيل موقف مهين ... تهوى به النار إلى سجين
شرابه الحميم والغسلين ... من يفعل الخير يقم سمين

ويدخل الجنّة أيّ حين

فأجابته فاطمة عليها السلام:

أمرك عندي يا ابن عمّ طاعة ... ما بي من لؤم ولا وضاعة
غذّيت من خبز له صناعة ... أطعمه ولا أبالي الساعة
أرجو إذ أشبعت ذا المجاعة ... أن ألحق الأخيار والجماعة

وأدخل الخلد ولي شفاعة

وما ذكره في يوم اليتيم، فأنشأ الإمام علي عليه السلام يقول:

فاطم بنت السيّد الكريم ... بنت نبيٍّ ليس بالزنيم
لقد أتى الله بذي اليتيم ... من يرحم اليوم يكن رحيم
موعده في جنّة النعيم ... قد حرّم الخلد على اللئيم
ألا يجوز الصراط المستقيم ... يزلّ في النار إلى الجحيم

فأنشأت فاطمة عليها السلام:

أطعمه اليوم ولا أبالي ... وأوثر الله على عيالي

أمسوا جياعاً وهم أشبالي أصغرهم يقتل في القتال
بكربلا يقتل باغتيال للقاتل الويل مع الوبال
تهوىٰ به النار إلىٰ سفال وفي يديه الغلّ والأغلال
كبوله زادت علىٰ الأكبال

أمّا في يوم الأسير، قال: فأنشأ عليه السلام يقول:

فاطم يا بنة النبيّ أحمد بنت نبيّ سيّد مسوّد
هذا أسير للنبيّ المهتد مكبّلٌ في غلّه مقيّد
يشكو إلينا الجوع قد تمدّد من يطعم اليوم يجده من غد
عند العليّ الواحد الموحّد ما يزرع الزارع سوف يحصد

فأنشأت فاطمة عليها السلام تقول:

لم يبق ممّا جاء غير صاع قد ذهبت كفّي مع الذراع
ابناي والله من الجياع يا ربّ تتركهما ضياع
أبوهما للخير ذو اصطناع يصطنع المعروف بابتداع
عبل الذراعين طويل الباع وما علىٰ رأسي من قناع
إلّا قناعاً نسجه إنساع[1]

وقد ذكر الشيخ الصدوق في كتابه عيون أخبار الرضا عليه السلام، عند ذكر هذه الآية:

قال إسحاق بن حمّاد بن زيد ثمّ قال لي: ـ أي الإمام الرضا عليه السلام ـ اقرأ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنْسَانِ حِيْنٌ مِنَ ٱلدَّهْرِ﴾ فقرأت حتّىٰ بلغت: ﴿وَيُطْعِمُوْنَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيْناً وَيَتِيْماً وَأَسِيْراً﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوْراً﴾، فقال: «فيمن نزلت هذه الآية؟».

---

(١) تفسير الثعلبي ١٠/ ٩٩ ـ ١٠١.

فقلت: في عليّ عليه السلام.

قال: «فهل بلغك أنّ علياً عليه السلام قال حين أطعم المسكين واليتيم والأسير: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيْدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوْرَاً﴾ على ما وصف الله عزّوجل في كتابه»؟ فقلت: لا.

قال: «فإنّ الله تعالى عرّف سريرة علي عليه السلام ونيّته فأظهر ذلك في كتابه تعريفاً لخلقه أمره، فهل علمت أنّ الله تعالى وصف في شيء ممّا وصف في الجنّة ما في هذه السورة: ﴿قَوَارِيْرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾» قلت: لا. قال: «فهذه فضيلة أخرى».

إلى نهاية الحديث الذي عن الإمام عليه السلام يذكر فضيلة بعد أخرى[1].

قال القاضي النعمان في احتجاج الإمام علي عليه السلام في الشورى:

قال: «فأناشدكم بالله الذي لا إله إلّا هو، أيّها النفر الخمسة، أفيكم من أنزل الله عزّ وجلّ فيه: ﴿وَيُطْعِمُوْنَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيْنَاً وَيَتِيْمَاً وَأَسِيْرَاً﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوْرَاً﴾ غيري»؟

قالوا: اللّهمّ، لا؟

قال: «فحسبي بما أقررتم به من مناقبي وفضائلي، ولو شئت أن أذكر غير ذلك كثيراً لذكرته، فاصنعوا بعد ذلك ما أنتم صانعون، فالله الشاهد على ما تفعلون»[2].

قال الكوفي في مناقب الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

قال ابن عبّاس: بينا أهل الجنّة في الجنّة إذ رأوا عين الشمس قد

---

(١) عيون الأخبار ٢/٢٠٦.

(٢) شرح الأخبار ٢/١٩٣.

أشرقت لها الجنان فيقول أهل الجنّة: يا ربّ! إنّك قلت في كتابك: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيْهَا شَمْسَاً﴾ فيرسل الله عزّوجلّ جبرئيل عليه السلام إليهم فيقول: ليست هذه شمساً ولكن فاطمة وعليّ ضحكا فأشرقت الجنّة من نور ضحكهما، ونزلت: ﴿هَلْ أَتَى﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوْرَاً﴾ (١).

وفي الختام أذكر ما قاله الشيخ جعفر النقدي في قصيدة يمدح بها الإمام عليّ عليه السلام:

نبأ عظيم، والعظيم معظّم ... خلق قديم، والقديم مصوّر
علّام علم ما عدا خير الورىٰ ... كلّ الورىٰ عن درك ذلك تقصر
صحف الأنام قد انطوت أخبارها ... ولذكره صحف الفضائل تنشر
سل عن علاه الذكر فهو مخبّر ... عنه وهل بعد الكتاب مخبّر
وسل الأحاديث التي في فضله ... أمست لها أيدي العدوّ تحرّر
أفهل نسوا ما أحمد قد قاله ... بغدير خمٍّ أم عتوا واستكبروا
يومٌ به جبريلُ جاء مخبّراً ... عن ربّه وهو السميع المبصر
يا أيّها المختار بلّغ في الفتىٰ الـ ... ـكرّار ما قد كنت قبلاً تستر
والله يدفع كلّ كيد خفته ... من معشر قد خالفوا وتكبّروا
فأقام في حرّ الظهيرة ما له ... غير الحدائج ما هنالك منبر
فرقىٰ وكفّ المرتضىٰ في كفّه ... وغدا ينادي والبريّة حضّر
من كنت مولاه فهذا حيدر ... مولاه والله المهيمن يأمر
فهو المطاع لكم وخير رجالكم ... فدعوا جميعاً بالقبول وكبّروا (٢)

---

(١) سورة الإنسان ٧٦: الآية ١ ـ ٢٢.
(٢) الكوكب الدرّيّ: ١٣٤.

ترجمة المؤلّف

اختلفت المصادر في ترجمته، لكن هذا ما وجدته جامعاً لترجمته حسب ما ذكره الشيخ عبّاس القمّي رحمه الله:

هو: عيسىٰ بن يزيد بن بكر بن دأب، أبو الوليد.

كان من أهل الحجاز ـ من كنانة ـ معاصراً لموسىٰ الهادي العبّاسي، وكان من أكثر عصره أدباً وعلماً ومعرفة بأخبار الناس وأيّامهم، وكان موسىٰ الهادي يدعو له متّكئاً، ولم يكن غيره يطمع منه في ذلك، وكان يقول: يا عيسىٰ، مااستطلت بك يوماً ولا ليلة، ولا غبت عنّي إلّا ظننت أنّي لا أرىٰ غيرك.

ذكر المسعودي في مروج الذهب بعض أخباره مع الهادي، ثمّ قال: ولابن دأب مع الهادي أخبار حسّان يطول ذكرها، ويتّسع علينا شرحها، ولا يتأتّىٰ لنا إيراد ذلك في هذا الكتاب؛ لاشتراطنا فيه علىٰ أنفسنا الاختصار والإيجاز.

قلت: ويظهر من رواية نقلها صاحب الاختصاص عنه في الخصال الشريفة التي جمعت في أمير المؤمنين عليه السلام، ولم تجتمع في أحد غيره تشيّعه ـ وهي هذه الرسالة التي بين يديك ـ والرواية طويلة أوردها العلّامة المجلسي في البحار، لا يسع المقام ذكرها[1].

قال ابن قتيبة: ولابن دأب عقب بالبصرة، وأخوه يحيىٰ بن يزيد، وكان أبوهما يزيد أيضاً عالماً بأخبار العرب وأشعارها وكان شاعراً أيضاً، والأغلب علىٰ آل دأب الأخبار[2].

---

(١) الكنىٰ والألقاب ١/ ٣٣٢، البحار ٤٠/ ١٠١.

(٢) المعارف: ٥٣٧.

منهجية العمل :

إنّ كتاب ابن دأب ذكره الشيخ المفيد رحمه الله في كتابه الاختصاص ، ولم يُذكر بشكل كتاب منفرد ، حتّىٰ أتمكّن من العمل عليه ، وعليه قمت بالبحث عن نسخ الاختصاص ، ومن ثمّ إخراج هذه الرسالة منها ، وكانت خطوات عملي كما يلي :

١ ـ المخطوطات :

أ ـ نسخة خطّية في مكتبة سپهسالار بخطّ بعض علماء البحرين ، لكتاب الاختصاص من الصفحة ٦٤ إلىٰ الصفحة ٧٢ من المخطوط ، وقد رمزت لها بحرف : (س) .

ب ـ نسخة من مكتبة السيّد الحكيم العامّة في النجف الأشرف ـ وهي نسخة كاملة لكتاب الاختصاص ـ عليها خطوط وتملّك الشيخ الحرّ العاملي رحمه الله من الصفحة ٨٩ إلىٰ الصفحة ١٠٠ من المخطوط ، وقد رمزت لها بحرف : (ح) .

ج ـ نسخة خطّية أُخرىٰ في مكتبة السيّد الحكيم العامّة في النجف الأشرف ، وبخطّ الشيخ محمّد السماوي رحمه الله وعليها تاريخ انتهائه من نسخها وهي سنة ١٣٥٩ من الهجرة النبوية ، وهي شاملة :

أوّلاً : فضائل أمير المؤمنين عليه السلام لابن دأب .

ثانياً : جمل الآداب في نظم كتاب ابن داب ، وقد نظم الشيخ محمّد السماوي رحمه الله كتاب ابن دأب إلىٰ مأتي بيت ، وقد أوردتها بعد الانتهاء من الكتاب ، وقد رمزت لها بحرف : (م) .

٢ ـ المقابلة :

ضبط الاختلافات بين النسخ الخطّية والمطبوع ونسخة بحار الأنوار ، وتثبيت ما هو الصحيح .

٣ ـ تخريج :

ما كان باستطاعتي أن أخرّجه من الأحاديث والروايات والآيات القرآنية من المصادر .

ويجدر بنا أن نذكر هنا أنّ مصبّ العمل كان على نسخة الاختصاص المطبوعة ، ونشر جماعة المدرّسين في مدينة قم المقدّسة سنة ١٤١٤ الطبعة الثانية[١] .

٤ ـ تقطيع النصّ وتقويمه .

وختاماً نقول إنّ الكمال لله وحده ، من قبل ومن بعد ، راجياً التسامح والتجاوز ، لما قد يكون من الزلل والخطأ ، وبذل النصح والإعانة ؛ لتلافي ما يمكن تلافيه في أعمالنا القادمة .

كما أتقدّم بجزيل الشكر والامتنان لإدارة مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ومكتبتها العامرة ؛ لإتاحتها الفرصة لنا ـ وللكثير من المحقّقين والباحثين غيرنا ـ بمراجعة الكتب والمصادر المتوفّرة في المكتبة ، وفّقهم الله لكلّ خير .

كما لا أنسى أن أتقدّم بالشكر الجزيل لأخي السيّد حسن الموسوي البروجردي الذي ساعدني في الحصول على النسخ الخطّية ، وفّقه الله لكلّ خير .

---

(١) وقد ذكرت في الاختصاص / ١٤٤ .

اللّهم وفّقنا لما يرضيك ، وجنّبنا عمّا يعصيك ، ويسّر أمرنا ، واحشرنا مع الصالحين ، أمين يا ربّ العالمين .

والحمد لله أوّلاً وآخراً .

محمّد مشكور

ذو القعدة ١٤٢٩ .

كلامه كالرعد وشيبه كشيب الكواكب وتعرف كثرتها وتفرد كهولها وسوئه كأحسنها وخلق في
ظهره اربعة وعشرين كعدد ساعات الليل والنهار وخلق له ثلثين معا كعدد الهلال ثلثين يوما وخلق
له اثني عشر فصلا كعدد السنة اثني عشر شهرا وخلق له ثلثمائة وستين عرقا لعدد السنة ثلثمائة وستين يوما
وخلق له سبعمائة عصبة واثنى عشر عضوا وهو مقدار ما يقيم الجنين في بطن امه وجعلة من مياه اربعة
فخلق الطالع في صبيته فهما لا يذوبان في الحر ولا يجمدان في البرد وخلق المرة في اذنيه لكي لا تذهبها الهوام
وخلق النخي في ظهره لكيلا تؤتيه النساء وخلق العذب في لسانه فتعرف ادم ان لا اله الا الله وخلقه
بشعر وجلد وروح فروحه التي لا تفارقه الا بفراق الدنيا ونفسه التي تزيلها الاحلام والمنامات و
جسمه هو الذي على وجه الي التراب يحشر يوم يحشر الناس يروى عن الصادق عليه السلام انه قال المؤمن عاشي
لانه همه الضلال والكفر والنفاق والمؤمن قرشي لانه افرشني ومحن الشي واتكر لانه تشي الدلام واتباعه
والمؤمن عربي لانه استنبط الاشياء فعرف الخبيث من الطيب والمؤمن عربي لانه عرب عنا اهل البيت والمؤمن
عجمي لانه اعجم عن الدلام فلم ينكره يخبو والمؤمن فارسي لانه يفرس في الامانة فان كان الامان منوطا
بالثريا لتناوله ابناء فارس يعني به المفرس فاختار منها افضلها واعظمها باشرفها وقد قال رسول
الله صلى الله عليه وآله اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله نرجع بنا الى ذكر ما في فضائل ابي الحسن بن
ابي الثلج فيه بعون منه وقوته اخبرنا ابو المفضل شيبان بن عبد الله بن محمد قال حدثنا عبد الله بن احمد
الله قال حدثنا احمد بن علي بن الحسين بن شاذان قال روى لنا ابو الحسين محمد بن علي بن الفضل
بن عامر الكوفي قال اخبرنا ابو عبد الله الحسين بن محمد بن المرزبان الخرائطي البزاز قراءة عليه
قال حدثنا ابو عيسى محمد بن علي بن عمرو بن اللحاب وهو الوراق قال حدثنا ابو محمد الحسن بن يحيى
قال حدثنا علي بن اسباط عن غير واحد من اصحاب ابن داب قال كنت عند الناس يتحدثون ان العرب
كانت تقول ان سيعث الله فينا نبيا يكون في بعض اصحابه سبعون خصلة من مكارم الدنيا والاخرة
نظروا وفتشوا اهل بيتهم عن خصال في واحد فضلا عن سبعين فلم يجدوا خصالا مجتمعة للدين
والدنيا ووجدوا عشر خصال مجتمعة في الدنيا والدين منها ثبي ووجدوا رهبن بن حباب
الكلبي ووجدوا شاعرا اديبا فارسا نجدا شاعرا ابن الكاهنا فاتيا عابدا راجلا وذكروا انه عاش
ثلثمائة سنة واملى اربعة لحم قال ابن داب ثم نظروا وفتشوا في العرب وكان الناظر في ذلك اهل النظر لهم

الصفحة الأولى من النسخة (ح)

بعثه وكان يخونه في استاره وبلاده واهله وقربه ويغرب خباه ويقوم على راسه بالسيف حتى يامره بالعفو والانصراف فلما بعث غير واحد في استعذاب ماء من البحيرة فغلظ عليه الماء فانصرفوا ولم يأتوا بشيء ثم توجه هو بالروية فاتاه بماء مثل الزلال واستقله وراح فاعلم ذلك النبي صلى الله عليه فقال له ذلك جبرئيل في الف وميكائيل في الف واسرافيل في الف فقال السيد الساعي اتمنى الذهاب في ليلة عليه ميكائيل وجبرئيل فجبرئيل في الف وميكائيل في الف وبلوهم سرافيل ثم دخل الناس عليه قبل ان يستشهد بيوم فشهدوا جميعا انه فدفن فيهم ولم يغسلهم ولم يناهم ولم يوشح في اكفانهم ولم يناول من بيت المال للمسلمين ما سايرني عنا لا درهم ولا كل من مال نفسه الا قدر ما بلغه ويشهد واجميعا ان ابعد الناس منه بمنزلة اقربهم منه ٭ اخبرنا ابن رباب والحمد لله والمنة وصلى الله على محمد وآله ٭ قال الفرادي وحدثنا ابو عيسى قال حدثنا ابو عيسى قال حدثنا ابو محمد الحسن بن موسى قال حدثنا محمد بن عمر الانصاري عن بعض من ابيه عن عبيد الله بن ابي رافع عن ابيه عن جده قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول من لعنت اذنه فليقبل على ولينقل من ذكرني بخير ذكره الله بخير وعلل اسناده قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا اراد ان ينام للشتاء حرك خاتمه ثلثا افقه السلامات ثلثة اعلم اذا قرنت الزهرة مع البرج في برج واحد هلك الروم او يكون بالروم سبيات عظيمة او بلايا واذا قرنت مع رجل كان في العامة سدة وضيق ٭ واذا قرنت الزهرة المشتري اسار الناس وحبس العيش ٭ واذا قرنت الزهرة عطارد اعراق الدنيا ونفع عظيم ٭ واذا قرنت بعطارد رجل في برج واحد هلك حديث في الارض فلك البرج واذا اجتمع بعطارد والمشتري مات بلك عظيم الناس ٭ واذا اجتمع زحل وعطارد وقع في الغلاء والخوف والحزن وكذلك في اهل الايبار واذا اجتمع زحل والمشتري في برج واحد تغيرت الدنيا في نهار الاحوال ويتغير امور الناس ويخرج الخراج من نواح كلها وخاصة من خيلان من المدائن والاكراد ويقتتل الناس قتالا ٭ من الخوف والحزن ويرتفع الغلا شا ذهر وتغير طبايع الناس كلهم ويذهب غنم الحياء والامانة ويلج كل واحد في الخر ويزيد فيهم كثرة الفساد خاصة في الشام واستعمال الولدات اولاد الحرام واهراق الدماء والقتل والجوع ٭ واذا اجتمع المشتري والعطارد اصاب الارض طاعون ويقع فيما بين الناس العداوة والبغض ٭ واذا ركب القمر فوق زحل في برج هلك الناس ٭ واذا اجتمع بعرام وعطارد في العرب فذلك اية نزل بابل ٭ واذا اجتمع المشتري والزهرة في العرب فذلك اية نزع ومرض بابل ٭ واذا

الابرار التي ونعتها التي وصفها الاحلام فالمقامات وجهها الذي يشتهي ويرجع الى الباب كما الحديث
العناد وقد الوارد قال المؤمن مايتبه لانه مثل الكافر والمؤمن زينته لانه زينته ومثل التي فاجر الخلة الا لا
ما ناصره والمؤمن طيب لانه استيطاء الانبياء معرفة الجنة من الطيب والمؤمن زينته لانه اعرب عنا اهل البيت الذين عجم
لانه اعجز الذلام فلم يذكر بجزء المؤمن فاريته لانه بفريضة الاتمام لو كان الايمان منوطا بالزنا لما اتاه فاجر
يعني به المتمرد فاختارها فضلها واقصر باشرفها وقد قال الله تعالى اصطفى الله لكم دينا فلا تموتن الا وانتم مسلمون

الله مركبا بيان فضل امير المؤمنين عليه السلام بسبعين منقبة ليس لاحد فيها نصيب ٥ اخبرنا ابو الحسين
حدثنا عبد الله رحمه الله قال حدثنا احمد بن علي بن الحسن بن شاذان قال حدثنا ابو الحسين محمد بن علي بن الفضل بن
عامر الكوفي قال اخبرنا ابو عبد الله الحسين بن محمد العنزي قال حدثنا ابو زكريا يحيى بن زياد الفراء قال حدثنا ابو عبيدة محمد بن
زهير الطائي الكوفي قال حدثنا ابو محمد الحسن بن دريد قال حدثنا علي بن اسحاق عن زيد بن الحارث عن ابيه
قال لما قبض الناس يجدون ان الدهر كانت تقول ان الدهر يحدث فيها بكون في بعض الاحايين سبعون نفسا بين
مكاره الدنيا والآخرة فطوبى لمن جمع عشرة منها الى واحدة فضلا عن سبعين فلم يجدوا احدا الا محمد صلى الله عليه وآله
في الدنيا وبعده واما عشرة منها في الدنيا وليس في الدين منها شيء وجدوا ذلك في امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام
طبيبا بجاهزها ابدا كاهنا قائما زاجرا وذكروا ان الغاية سبعين والله اعلم قال ابن ابي طالب ثم نظروا فاذا هو
في العرب كان الناس ذلك الفظر فلم يجمع في احد خصال محمد صلى الله عليه وآله في الدنيا بالاضطرار على الحروف وكمل
الاتم على ابن ابي طالب عليه السلام فوجد وه على احمد افضل الفاضل أخبرنا الاتمام كانا حرا الناس وما ذلك الا لعلم
صلى الله عليه وآله بهوت المشركين وتعبير الرؤيا لما قدره الله في الدنيا ثم له فرقل ان المشركين في معاني الجن والانس والرجال
ابن ابي طالب فلما هذه الخصال قالوا الموناة للرسول والله ورسوله دون نفسه دون الحفيظة دون الفهم دون
الرشد الى الوعد الزهد في الاهل والحياة والكرم والشجاعة في الخلق الرياسة في العلم والعلم والحلم بالفضل
الشجاعة ترك الفخر ضد الخفة ترك اظهار الرجح ترك الخديعة ترك المكر في العلم ترك البذلة هو بيته عليها فاما الزهد
فانه قصر امله فلم يطمع طمعا حتى عزان ما فدر به في الدنيا طيبة تركه ان يفضل نفسه وولده على احد من امته
وعلم انه في ما تأكل الوعيد والباس وفي ما يلبس الشفاء الحلق وقد بها لموته عدة لذة الهيبة بالصراحة حرمه وقطع
الناس كان في خلال الناس وفي ما بهم فتبرأ من اتهامهم وما طاعتهم اصفاتهم الى امره والحفظ وهو الذي يشفع
العرب العقل حتى اذا ما عيبوا الناهد وبالحكمة واستخراج الكلم والابلاغ في الموعظة وحاجة الناس الى
اذا حضر يعني لا يرضوا ولا خلاق لهم في الارض على الناس حتى يخرجهم الدفع من الظلم وانارة الله

والروح

الصفحة الأولى من النسخة (س)

الصفحة الأخيرة من النسخة (س)

فضائل أمير المؤمنين عليه السلام

تأليف

عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب
من أعلام القرن الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

حدّثنا عبد الله[١] رحمه الله ، قال: حدّثنا أحمد بن عليّ بن الحسن بن شاذان ، قال: روىٰ لنا: أبو الحسين محمّد بن عليّ بن الفضل بن عامر الكوفيّ ، قال: أخبرنا أبو عبد الله الحسين محمّد بن الفرزدق الفزاريّ البزّاز ـ قراءةً عليه ـ قال: حدّثنا أبو عيسىٰ محمّد بن عليّ بن عمرويه الطحّان[٢] ـ وهو الورّاق ـ قال: حدّثنا أبو محمّد الحسين بن موسىٰ ، قال: حدّثنا عليّ ابن أسباط ، عن غير واحد من أصحاب ابن دأب ، قال: لقيت النّاس يتحدّثون أنّ العرب كانت تقول: إن يبعث الله فينا نبيّاً يكون في بعض أصحابه سبعون خصلة من مكارم الدُّنيا والآخرة.

فنظروا وفتّشوا هل تجتمع عشر خصال في واحد فضلاً عن سبعين؟! فلم يجدوا خصالاً مجتمعة للدّين والدُّنيا، ووجدوا عشر خصال مجتمعة في الدُّنيا وليس في الدّين منها شيء، ووجدوا زهير بن حُباب الكلبيّ[٣] ووجدوه:

[١] شاعراً.

[٢] طبيباً.

[٣] فارساً.

---

(١) في نسخة (ح) والبحار: عبيد الله.

(٢) في نسختي (ح و س): الطحّاب.

(٣) زهير بن حُباب ـ جناب ـ الكلبي من بني كنانة من بكر، خطيب قضاعة وسيّدها وشاعرها وبطلها ووافدها إلىٰ الملوك في الجاهلية، توفّي نحو سنة ٦٠ من الهجرة.
لمزيد من ترجمته انظر: أمالي السيّد المرتضىٰ ١ / ١٧٢، الأعلام للزركلي ٣ / ٥١، الكامل في التاريخ لابن الأثير ١ / ٥٠٢.

[٤] منجّماً .

[٥] شريفاً .

[٦] أيّداً[١] .

[٧] كاهناً .

[٨] قائفاً[٢] .

[٩] عائفاً[٣] .

[١٠] راجزاً[٤] .

وذكروا أنّه عاش ثلاث مائة سنين ، وأبلى أربعة لحم .

قال ابن دأب[٥] : ثمّ نظروا وفتّشوا في العرب ـ وكان الناظر في ذلك أهل النظر ـ فلم يجتمع في أحد خصال مجموعة للدّين والدُّنيا بالاضطرار على ما أحبّوا وكرهوا[٦] إلّا في عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فحسدوه عليها حسداً أنغل[٧] القلوب ، وأحبط الأعمال ، وكان أحقُّ الناس وأولاهم بذلك ، إذ هدم الله عزّوجلّ به بيوت المشركين ، ونصر به الرسول صلى الله عليه وآله ، واعتزّ به الدّين[٨] في قتله من قتل من المشركين في مغازي النبيّ صلى الله عليه وآله .

---

(١) الأيّد : أيّدته تأييداً ، أي : قوّيته . الصحاح ٢ / ٤٤٣ (أيد) .

(٢) القائف : الذي يعرف النسب بفراسته ، ونظره الحسن أعضاء المولود . النهاية في غريب الحديث ٤ / ١٢١ .

(٣) العائف : المتكّهن بالطير وغيرها . غريب الحديث لابن قتيبة ٢ / ٢٠٢ .

(٤) الراجز : الذي يقول الشعر ، من الرَّجَز . الصحاح ٣ / ٢٦ (رجز) .

(٥) هكذا وجدته في الاختصاص ، والنسخ الخطّية ، والظاهر أنّه يبدو من كلام الشيخ المفيد رحمه الله ، وكذلك في جميع الموارد التالية .

(٦) في نسخة (م) زيادة : رجل واحد وهو .

(٧) أنغل : أي أفسد . الصحاح ٥ / ١٢٦ (نغل) .

(٨) في نسخة (س) : الدنيا .

قال ابن دأب: فقلنا لهم: وما هذه الخصال؟

قالوا:

١ ـ المواساة للرسول صلى الله عليه وآله.

٢ ـ وبذل نفسه دونه.

٣ ـ والحفيظة.

٤ ـ ودفع الضيم عنه.

٥ ـ والتصديق للرسول صلى الله عليه وآله بالوعد.

٦ ـ والزهد.

٧ ـ وترك الأمل.

٨ ـ والحياء.

٩ ـ والكرم.

١٠ ـ والبلاغة في الخطب.

١١ ـ والرّئاسة.

١٢ ـ والحلم.

١٣ ـ والعلم.

١٤ ـ والقضاء بالفصل.

١٥ ـ والشجاعة.

١٦ ـ وترك الفرح عند الظفر.

١٧ ـ وترك إظهار المرح.

١٨ ـ وترك الخديعة والمكر والغدر.

١٩ ـ وترك المثلة، وهو يقدر عليها.

٢٠ ـ والرغبة الخالصة إلى الله تعالى.

٢١ ـ وإطعام الطعام على حبّه .

٢٢ ـ وهوان ما ظفر به من الدّنيا عليه .

٢٣ ـ وتركه أن يفضّل نفسه وولده على أحد من رعيّته .

٢٤ ـ وطعامه أدنى ما تأكل الرّعيّة .

٢٥ ـ ولباسه أدنى ما يلبس أحد من المسلمين .

٢٦ ـ وقسمه بالسويّة .

٢٧ ـ وعدله في الرّعيّة .

٢٨ ـ والصرامة[١] في حربه ، وقد خذله الناس .

٢٩ ـ فكان في خذلان[٢] الناس وذهابهم عنه بمنزلة اجتماعهم عليه طاعة الله وانتهاء إلى أمره .

٣٠ ـ والحفظ ، وهو الذي تسمّيه العرب : العقل ، حتّى سمّي : أُذناً واعية[٣] .

٣١ ـ والسماحة .

٣٢ ـ وبثّ الحكمة .

٣٣ ـ واستخراج الكلمة .

٣٤ ـ والإبلاغ في الموعظة .

---

(١) الصرامة : الشجاعة . لسان العرب ١٢ / ٣٣٥ (صرم) .

(٢) في نسخة (ح ، م) : خذل .

(٣) قال الشيخ الطوسي في مجمع البيان ١٠ / ١٠٧ عند تفسير سورة الحاقة : ﴿لِنَجْعَلَها لَكُمْ تَذْكِرَةً وتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ أي : أُذن حافظة ، فمعنى واعية : ممسكة ما يحصل فيها .

قيل : لمّا نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وآله : «اللهم اجعلها أُذن عليّ عليه السلام» ، ثمّ قال عليّ عليه السلام : «فما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً فنسيته» .

٣٥ ـ وحاجة النّاس إليه إذا حضر، حتّىٰ لا يؤخذ إلّا بقوله.

٣٦ ـ وانغلاق كلّ ما في الأرض[١] علىٰ الناس حتّىٰ يستخرجه.

٣٧ ـ والدّفع عن المظلوم.

٣٨ ـ وإغاثة الملهوف.

٣٩ ـ والمروءة.

٤٠ ـ وعفّة البطن والفرج.

٤١ ـ وإصلاح المال بيده؛ ليستغني به عن مال غيره.

٤٢ ـ وترك الوهن والاستكانة.

٤٣ ـ وترك الشكاية في موضع ألم الجراحة.

٤٤ ـ وكتمان ما وجد في جسده من الجراحات من قرنه إلىٰ قدمه، وكانت ألف جراحة في سبيل الله.

٤٥ ـ والأمر بالمعروف.

٤٦ ـ والنهي عن المنكر.

٤٧ ـ وإقامة الحدود ولو علىٰ نفسه.

٤٨ ـ وترك الكتمان فيما لله فيه الرّضا علىٰ ولده.

٤٩ ـ وإقرار النّاس بما نزل القرآن من فضائله.

٥٠ ـ وما يحدّث النّاس عن رسول الله صلى الله عليه وآله من مناقبه.

٥١ ـ واجتماعهم علىٰ أنّه لم يردَّ علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله كلمة قطُّ.

٥٢ ـ ولم ترتعد فرائصه في موضع بعثه فيه قطُّ.

٥٣ ـ وشهادة الذين كانوا في أيّامه أنّه وفّر فيأهم[٢].

---

(١) في نسخة (س) والبحار: وانفلاق ما في الأرض.

(٢) في نسخة (م) والبحار: وترفيهم.

٥٤ ـ وطلّق[١] نفسه عن دنياهم .

٥٥ ـ ولم يرتش[٢] في أحكامهم .

٥٦ ـ وزكاء القلب[٣] .

٥٧ ـ سعة[٤] الصدر ، عند ما حكمت الخوارج عليه ، وهرب كلّ من كان في المسجد وبقي على المنبر وحده ، وما يحدّث النّاس أنّ الطير بكت عليه .

٥٨ ـ وما روي عن ابن شهاب الزّهري[٥] : إنّ حجارة أرض بيت المقدس قلبت عند قتله فوجد تحتها دم عبيط .

٥٩ ـ والأمر العظيم حتّى تكلّمت به الرّهبان وقالوا فيه .

٦٠ ـ ودعاؤه الناس إلى أن يسألوه[٦] عن كلّ فتنة تضلُّ مائة أو تهدي مائة .

---

(١) في المطبوع والبحار : ظلف ، وما أثبته من النسخ الخطّية .

(٢) في نسخة «ح» والبحار : ولم يرز شيئاً ، وفي «س» : يؤثر ، وفي «م» : ولم ير شبيهاً والصحيح ما في المتن ، وأثبته من المطبوع .

(٣) زكاء الرجل : إذا تنعّم ، والزكاء كلّ شيءٍ : ازداد ونما ، فهو يزكو زكاء ، ورجلٌ زكيٌّ : أي تقيٌّ . الصحاح ٦/٢٣٦٨ ، والعين ٥/٣٩٤ (زكو) .

(٤) في المطبوع والبحار: قوّة، وفي نسختي «س وح»: حرّه ، وما أثبتّه من نسخة «م».

(٥) محمّد بن شهاب الزهري : من علماء العامّة ، إلّا أنّ الظاهر من الرواية الذي يرويها ابن شهرآشوب وذكرها السيّد الخوئي : إنّ الزهري كان يحبّ عليّ بن الحسين عليه السلام ويعظّمه ، ثمّ ذكر السيّد رحمه الله أنّ نسبة العداوة إليه على ما ذكر الشيخ الصدوق لم تثبت ، بل الظاهر عدم صحّتها ، ثمّ يذكره في مكان آخر بقوله : إنّه تابعيٌّ .

لاحظ معجم رجال الحديث ١٧/١٩٠ ـ ١٩٣ ت ١٠٩٨٧ و١٨/٢٧١ ت ١١٨١٤ ، بتصرّف .

(٦) في نسخة (ح) والبحار : يسألونه .

٦١ ـ وما روىٰ النّاس من عجائبه في إخباره عن الخوارج وقتلهم.

٦٢ ـ وتركه مع هذا أن يظهر منه استطالة أو صلف[١]، بل كان الغالب عليه إذا كان ذلك غلب البكاء عليه.

٦٣ ـ والاستكانة لله، حتّىٰ يقول له رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما هذا البكاء يا عليّ؟».

فيقول: «أبكي لرضاء رسول الله عنّي».

قال: فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ الله وملائكته ورسوله عنك راضون».

٦٤ ـ وذهاب البرد عنه في أيّام البرد.

٦٥ ـ وذهاب الحرّ عنه في أيّام الحرّ، فكان لا يجد حرّاً ولا برداً.

٦٦ ـ والتأييد بضرب السيّف في سبيل الله.

٦٧ ـ والجَمال، قال: «أشرف يوماً علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله».

فقال: «ما ظننت إلّا أنّه أشرف عليّ القمر ليلة البدر».

٦٨ ـ ومباينته للناس في أحكام خلقه، قال: «وكان له سنام كسنام الثور».

٦٩ ـ بعيد ما بين المنكبين.

٧٠ ـ وإنّ ساعديه لا يستبينان من عضديه من إدماجهما من إحكا الخلق، لم يأخذ بيده أحداً قطّ إلّا حبس نفسه، فإن زاد قليلاً قتله.

قال ابن دأب: فقلنا: أيّ شيء معنىٰ أوّل خصاله بالمواساة؟

قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله له: «إنّ قريشاً قد أجمعوا علىٰ قتلي فنم

---

(١) الصلف: الادّعاء ما فوق القدر إعـ ـاً وتكبراً، ومجاوزة قدر الظرف. العين ٧/ ١٢٥، والصحاح ٤/ ١٠٠ (صلف).

على فراشي» .

فقال : «بأبي أنت وأُمّي ، السمع والطّاعة لله ولرسوله» ، فنام على فراشه ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله لوجهه ، وأصبح عليٌّ وقريش تحرسه ، فأخذوه فقالوا : أنت الذي غررتنا[1] منذ اللّيلة؟ فقطعوا له قضبان الشجر ، فضرب حتّى كادوا يأتون على نفسه ، ثمّ أفلت من أيديهم وأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في إلغار : «أن اكتر ثلاثة أباعر ، واحداً لي وواحداً لأبي بكر وواحداً للدّليل ، واخمل أنت بناتي إلى أن تلحق بي» . ففعل[2] .

قال : فما الحفيظة والكرم؟

قالوا : مشى على رجليه ، وحمل بنات رسول الله صلى الله عليه وآله على الظهر ، وكمن النّهار وسار بهنّ اللّيل ماشياً على رجليه ، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وقد تعلّقت قدماه دماً ومدة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : «هل تدري[3] ما نزل فيك»؟ فأعلمه بما لا عوض له لو بقي في الدُّنيا ما كانت الدُّنيا باقية .

قال : «يا عليُّ ، نزل فيك : ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ فالذكر : أنت ، والأناث : بنات رسول الله صلى الله عليه وآله ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارَ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللهِ واللهُ عِندَهُ

---

(١) في نسختي «ح ، م» : غدرتنا ، وما أثبتّه من «س» .

(٢) الخرائج ١ / ١٤٣ / ٢٣١ ، العمدة : ٢٣٩ / ح٣٦٧ ، البحار ٤٠ / ١٠٠ ، شواهد التنزيل للحسكاني : ١٢٩ / ح١٣٩ ، البداية والنهاية لابن كثير ٣ / ٢٤٤ ، فضائل أمير المؤمنين لابن عقدة الكوفي : ١٧٩ ، السيرة النبوية لابن كثير ٢ / ٢٤٤ .

(٣) في نسخة «س» : أتدري .

﴿حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (١) (٢).

قال: فما دفع الضيم؟

قالوا: حيث حُصِرَ رسول الله صلى الله عليه وآله في الشعب، حتّىٰ أنفق أبو طالب ماله، ومنعه في بضع عشرة قبيلة من قريش، وقال أبو طالب في ذلك لعليّ عليه السلام، وهو مع رسول الله صلى الله عليه وآله في أموره، وخدمته وموازرته ومحاماته (٣).

قال: فما التصديق بالوعد؟

قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبره، بالثواب والذُّخر، وجزيل المآب لمن جاهد محسناً بماله ونفسه (ونيّته، فلم يتعجّل شيئاً من ثواب الدُّنيا عوضاً من ثواب الآخرة، ولم يفضّل نفسه) (٤) علىٰ أحد للّذي كان عنده، وترك ثوابه؛ ليأخذه مجتمعاً كاملاً يوم القيامة، وعاهد الله أن لا ينال من الدُّنيا إلّا بقدر البلغة، ولا يفضل له شيء ممّا أتعب فيه بدنه، ورشح فيه جبينه، إلّا قدّمه قبله فأنزل الله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُم مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ﴾ (٥) (٦).

---

(١) آل عمران ٣/ ١٩٥.

(٢) إعلام الورىٰ ١/ ٣٧٥، فضائل أمير المؤمنين لابن عقدة: ١٨٠، المناقب لابن شهرآشوب ٢/ ٣٢٩، مناقب أمير المؤمنين لابن سليمان الكوفي ١/ ٣٦٥، تاريخ دمشق ٤٢/ ٦٩، أُسد الغابة ٤/ ١٩.

(٣) روضة الواعظين: ٥٣، إيمان أبي طالب للمفيد: ٣، الخرائج للراوندي ١/ ٨٥ح ١٤١، حلية الأبرار: ٧٢، السنن الكبرىٰ للبيهقي ٦/ ٣٦٦، سرّ السلسلة العلوية لأبي نصر البخاري: ٨٢.

(٤) ما بين القوسين لم يرد في «ح».

(٥) سورة البقرة ٢: ١١٠.

(٦) تفسير المنسوب للإمام العسكري: ٥٢٠/ ٣١٨، التبيان ١/ ٤٠٨، مجمع البيان ١/ ٣٦٨.

قال: فقيل لهم: فما الزّهد في الدُّنيا؟

قالوا: لبس الكرابيس، وقطع ما جاوز أنامله، وقصّر طول كمّه، وضيّق أسفله، كان طول الكمّ ثلاثة أشبار، (وأسفله اثني عشر شبراً، وطول البدن ستّة أشبار)[1][2].

قال: قلنا: فما ترك الأمل؟

قالوا: قيل له: هذا قد قطعت ما خلف أناملك، فما لك لا تلفُّ كمّك؟

قال: الأمر أسرع من ذلك، فاجتمعت إليه بنو هاشم قاطبةً وسألوه وطلبوا إليه لما وهب لهم لباسه ولبس لباس النّاس؟ وانتقل عمّا هو عليه من ذلك، فكان جوابه لهم البكاء والشهيق[3]، وقال ـ بأبي وأُمّي ـ: «من لم يشبع من خبز البرّ حتّى لقى الله»، وقال لهم: «هذا لباس هدىً، يقنع به الفقير، ويستر به المؤمن»[4].

قال: فما الحياء؟

قالوا: لم يهجم على أحد قطّ أراد قتله فأبدا عورته، إلّا انكفأ عنه حياءً منه[5].

---

(١) ما بين القوسين لم يرد في «س».

(٢) دعائم الإسلام ٢/١٥٧، الكافي ٦/٤٥٧ح ٩، مكارم الأخلاق ١/٢٤٥ ح ٧٢٧.

(٣) الشهيق: تردّد البكاء في الصدر. لسان العرب ٤/٥٣١ (شهق).

(٤) الكافي ٨/١٢٩/ح١٠٠، أمالي الطوسي: ٦٩٢/١٤٧٠، الثاقب في المناقب: ٣٣٥/٢٧٨، حلية الأبرار ١/٢١٩.

(٥) مناقب ابن شهرآشوب ٢/٣٦٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/١٤٨ و٨/٦٠، المسترشد للطبري: ٣٩١، المناقب للخوارزمي: ٢٣٦، الفتوح لابن أعثم الكوفي ٢/٤٢٧، وقعة صفّين: ٤٠٧.

قال: فما الكرم؟

قالوا: قال له سعد بن معاذ ـ وكان نازلاً عليه في الغرّاب في أوّل الهجرة ـ: ما منعك أن تخطب إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته؟

فقال عليه السلام: «أنا أجتري أن أخطب إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله؟ والله لو كانت أمة له ما اجترأت عليه» فحكىٰ سعد مقالته لرسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «قلْ له يفعل؛ فإنّي سأفعل».

قال: فبكىٰ حيث قال له سعد، قال: ثمّ قال: «لقد سعدت إذاً أن جمع الله لي صهره مع قرابته».

فالذي يعرف من الكرم[1] هو التواضع[2] لنفسه، وترك الشرف علىٰ غيره، وشرف أبي طالب عليه السلام ما قد علمه النّاس، وهو ابن أبي طالب عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وأخو عبد الله لأبيه وأُمّه[3]، وأُمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم التي خاطبها رسول الله صلى الله عليه وآله في لحدها، وكفّنها في قميصه، ولفّها في ردائه، وضمن لها علىٰ الله أن لا تبلىٰ أكفانها، وأن لا تبدي لها عورة، ولا يسلّط عليها ملكي القبر، وأثنىٰ عليها عند موتها، وذكر حسن صنيعها به وتربيتها له، وهي عند عمّه أبي طالب، وقال: «ما نفعني نفعها أحد»[4].

---

(١) في نسختي «ح، س»: الكرام، وما أثبتّه من المطبوع ونسخة «م».

(٢) في المطبوع: الوضع، وفي نسختي «ح، س»: الواضع، وما أثبتّه من نسخة «م».

(٣) قوله: «وهو ابن أبي طالب عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وأخو عبد الله لأبيه وأُمّه»، أثبته من نسخة: «م»، والمطبوع، ونسختي «ح وس»، والبحار: وهو ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله لأبيه وأُمّه، أبو طالب بن عبد المطّلب بن هاشم.

(٤) شرح الأخبار ٢/ ٣٥٩، كشف الغمّة ١/ ٣٧٤، اعلام الورىٰ ١/ ١٦٠، الذريّة الطاهرة النبوية: ٩٣، ذخائر العقبىٰ: ٢٩، السنن الكبرىٰ للبيهقي ٧/ ٢٣٥، الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٨/ ١٩ ـ ٢٣.

ثمّ البلاغة، قام[١] النّاس إليه حيث نزل من المنبر، فقالوا: ما سمعنا يا أمير المؤمنين أحداً قطّ أبلغ منك ولا أفصح! فتبسّم، وقال: «وما يمنعني، وأنا مولدٌ مكيٌّ» ولم يزدهم على هاتين الكلمتين[٢].

ثمّ الخطب، فهل سمع السامعون من الأوّلين والآخرين بمثل خطبه وكلامه؟ وزعم أهل الدّواوين: لولا كلام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وخطبه وبلاغته في منطقه؛ ما أحسن أحدٌ أن يكتب إلى أمير جند ولا إلى رعيّة[٣].

ثمّ الرئاسة، فجميع من قاتله ونابذه على الجهالة والعمى والضلالة، فقالوا: نطلب دم عثمان، ولم يكن في أنفسهم ولا قدروا من قلوبهم أن يدّعوا رئاسة معه، وقال هو: «أنا أدعوكم إلى الله وإلى رسوله بالعمل بما أقررتم لله ولرسوله من فرض الطاعة»، وإجابة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الإقرار بالكتاب والسنّة.

ثمّ الحلم، قالت له صفية بنت عبد الله بن خلف الخزاعيّ: أيّم[٤] الله نساءك منك كما أيّمت نساءنا، وأيتم الله بنيك منك كما أيتمت أبناءنا من آبائهم، فوثب النّاس عليها، فقال: «كفّوا عن المرأة» فكفّوا عنها، فقالت لأهلها: ويلكم! الذين قالوا هذا سمعوا كلامه قطُّ عجباً من حلمه عنها[٥].

---

(١) في المطبوع: مال، و ما أثبتّه من «ح، س، م»، والبحار.

(٢) البحار ٤٠/١٠١.

(٣) البحار ٤٠/١٠١.

(٤) الأيامى: الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء. الصحاح ٥/١٨٦٨ (أيم).

(٥) دعائم الاسلام ١/٣٩٤، الخرائج ٢/٧٤٩ح٦٦، مناقب ابن شهرآشوب ٢/٩٨، الروضة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: ١٦٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥/١٠٥، تفسير فرات الكوفي: ١١١، الفتوح ٢/٤٨٣، الفتنة ووقعة الجمل: ١٧٩، تاريخ الطبري ٣/٥٤٣.

ثمّ العِلْمُ، فكم من قول قد قاله عمر: لولا عليٌّ لهلك عمر[١].

ثمّ المشورة في كلّ أمر جرىٰ بينهم حتّىٰ يجيبهم بالمخرج.

ثمّ القضاء، لم يتقدّم إليه أحدٌ قطّ فقال له: «عد غداً أو دفعه، إنّما يفصل القضاء مكانه»، ثمّ لو جاءه بعد لم يكن إلّا ما بدر منه أوّلاً.

ثمّ الشّجاعة، كان منها علىٰ أمر لم يسبقه الأوّلون، ولم يدركه الآخرون من النجدة والبأس، ومباركة الأخماس علىٰ أمر لم ير مثله، لم يولّ دبراً قطّ، ولم يبرز إليه أحدٌ قطُّ إلّا قتله، ولم يكعّ[٢] عن أحد قطُّ دعاه إلىٰ مبارزته، ولم يضرب أحداً قطّ في الطول إلّا قدّه، ولم يضربه في العرض إلّا قطعه بنصفين، وذكروا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حمله علىٰ فرش، فقال: «بأبي أنت وأُمّي، أنا ما لي وللخيل، أنا لا أتّبع أحداً ولا أفرّ من أحد، وإذا ارتديت سيفي لم أضعه إلّا للّذي أرتدي له»[٣].

ثمّ ترك الفرح وترك المرح، أتت البشرىٰ إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله ترىٰ بقتل من قتل يوم أحد من أصحاب الألوية، فلم يفرح ولم يختل، وقد اختال أبو دجانة ومشىٰ بين الصفّين مختالاً، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّها لمشية يبغضها الله إلّا في هذا الموضع»[٤].

---

(١) الكافي ٧/٤٢٤ح٦، دعائم الإسلام ١/٨٦، الفقيه ٤/٣٦ح٥٠٢٥، خصائص الأئمّة: ٨٥، تهذيب الأحكام ٦/٣٠٦ح٨٤٩، تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: ١٥٢، نظم درر السمطين: ١٣٠، مناقب الخوارزمي: ٨١.

(٢) كعّ يكعّ: إذا تلكّأ وجبن. العين ١/٦٦، معجم مقاييس اللّغة ٥/١٢٩ (كع).

(٣) البحار ٤٠/١٠٤.

(٤) الكافي ٥/٨ح١٣، تحف العقول: ٣٤٤، النوادر للراوندي: ١٣٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤/٢٥٨، مجمع البيان ٢/٤٠٤، تفسير الثعلبي ٣: ١٧٥، الثقات لابن حبّان ١/٢٢٥، أُسد الغابة ٥/١٨٤، تاريخ الطبري ٢/١٩٥، تاريخ الإسلام ٢/١٧١.

ثمّ لمّا صنع بخيبر ما (صنع من قتل مرحب)[١]، وفرار من فرّ بها، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لأُعطيَنّ الرّاية رجلاً يحبُّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، ليس بفرّار».

فإخباره أنّه ليس بفرّار معرضاً عن القوم الذين فرّوا قبله، فافتتحها وقتل مرحباً، وحمل بابها وحده، فلم يطقه دون أربعين رجلاً، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فنهض مسروراً، فلمّا بلغه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد أقبل إليه انكفأ[٢] إليه.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «بلغني بلاؤك، فأنا عنك راضٍ»، فبكى عليٌّ عليه السلام عند ذلك، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «أمسك، ما يبكيك؟!».

فقال: «وما لي لا أبكي ورسول الله عنّي راض؟».

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ الله وملائكته ورسوله عنك راضون».

وقال له: «لولا أن يقول فيك الطوائف من أُمّتي ما قالت النصارىٰ في عيسىٰ بن مريم، لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمرّ بملأ من المسلمين قلّوا أو كثروا، إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك يطلبون بذلك البركة»[٣].

ثمّ ترك الخديعة والمكر والغدر، اجتمع النّاس عليه جمعياً، فقالوا له: اكتب يا أمير المؤمنين إلىٰ من خالفك بولايته ثمّ اعزله[٤]، فقال:

---

(١) ما بين القوسين لم يرد في نسخة «س».

(٢) انكفأ: أي مال إليه. تاج العروس ١/ ٢٣٥ (كفأ).

(٣) الكافي ٨/ ٥٧ ح ٨، الخصال: ٥٧٥، مناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ١/ ٢٤٩، شرح الأخبار ٢/ ٤١١ ح ٧٥٧، الإرشاد ١/ ١١٧، الروضة في فضائل أمير المؤمنين لابن شاذان: ٧٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥/ ٤، تفسير فرات الكوفي: ٤٠٦/ ٥٤٣، التبيان للشيخ الطوسي ٩/ ٢٠٩، الأربعين للشيرازي: ٤٥٥، المعجم الكبير للطبراني ١/ ٣٢ ح ٩٥١، المناقب للخوارزمي: ٣١١.

(٤) يعنون به: معاوية بن أبي سفيان.

«المكر، والخديعة، والغدر في النّار»[١].

ثمّ ترك المثلة، قال لابنه الحسن عليه السلام: «يا بنيّ، اقتل قاتلي، وإيّاك والمثلة؛ فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كرهها ولو بالكلب العقور»[٢].

ثمّ الرّغبة بالقربة إلى الله بالصّدقة، قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا عليّ، ما عملت في ليلتك؟».

قال: «ولم يا رسول الله؟».

قال: «نزلت فيك أربعة معالي».

قال: «بأبي أنت وأُمّي، كانت معي أربعة دراهم فتصدّقت بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سرّاً، وبدرهم علانية».

قال: «فإنّ الله أنزل فيك: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٣]».

ثمّ قال له: «فهل عملت شيئاً غير هذا؟! فإنّ الله قد أنزل عليّ سبعة عشر آية يتلو بعضها بعضاً من قوله: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً﴾ ـ إلى قوله: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَشْكُوراً﴾»[٤]. قوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً

---

(١) الكافي ٢/٣٣٧ح ١، ثواب الأعمال: ٢٧٠، تحف العقول: ١٥٤، مسند الإمام الرضا عليه السلام: ١٢/٩٤، شرح نهج البلاغة ٢/٣١٦، الجامع الصغير للسيوطي ٢/٦٧١ح ٩٢٣٣.

(٢) نهج البلاغة ٣/٧٨، روضة الواعظين: ١٣٧، ذخائر العقبى: ١١٦، المعجم الكبير ١/١٠٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧/٦، تاريخ الطبري ٤/١١٤، الكامل في التاريخ ٣/٣٩١، مناقب الخوارزمي: ٣٨٦.

(٣) سورة البقرة ٢: ٢٧٤.

(٤) سورة الإنسان ٧٦: ٥ ـ ٢٢.

﴿وَأَسِيراً﴾ (١).

قال: فقال العالم عليه السلام: «أما إنّ علياً لم يقل في موضع: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً﴾ (٢)، ولكنّ الله علم من قلبه أنّما أطعم لله، فأخبره بما يعلم من قلبه من غير أن ينطق به».

ثمّ هوان ما ظفر به من الدُّنيا عليه، أنّه جمع الأموال ثمّ دخل إليها فيقال (٣):

هـذا جَـنَايَ وخِـيَارُه (٤) فيه ... إذْ كُلّ جانٍ (٥) يدُه إلى فيه (٦)

إبيضّي واصفرّي وغرّي غيري، أهل الشّام غداً إذا ظهروا عليك» (٧).

وقال: «أنا يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظلمة» (٨).

ثمّ ترك التّفضيل لنفسه وولده على أحد من أهل الإسلام، دخلت

---

(١) سورة الإنسان ٧٦: ٨.

(٢) سورة الإنسان ٧٦: ٩.

(٣) هذا البيت لعمرو بن عديّ بن نصر اللخمي.

قال المرزباني في معجمه: وتمثّل عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام بهذا البيت عند قسمته ما كان في بيت المال.

وعمرو هو شاعر جاهلي، وأوّل ملوك الحيرة، ملك بعد خاله جذيمة الأبرش. للمزيد انظر معجم الشعراء للمرزباني: ١٠.

(٤) خيار الشيء: أفضله. انظر تاج العروس ١٠/ ٤٤٥ (خير).

(٥) الجني: ما يجني من الثمرة. تاج العروس ١٩/ ٢٩٤ (جني).

(٦) في نسخة «ح»: وكلّ شأن يده إلى فيه.

(٧) أمالي الصدوق: ٣٥٧ح ٤٤٠، روضة الواعظين: ١١٧، الغارات للثقفي ١/ ٤٩، مناقب أمير المؤمنين للكوفي ٢/ ٣٤، شرح الأخبار ٢/ ٢٦١، مناقب ابن شهرآشوب ١/ ٣٦٥، الأربعين للشيرازي: ٤١٢، المصنّف لابن أبي شيبة ٧/ ٦٢١ح ١.

(٨) الخصال: ٦٣٣، معاني الأخبار: ٣١٤، شرح الأخبار ٢/ ٤٧٨، الإرشاد ١/ ٣٢، الاحتجاج ١/ ٢٠٧، شرح نهج البلاغة ١/ ١٢، الجمل: ١٥٤.

واليعسوب: الرئيس الكبير. غريب الحديث لابن سلّام ٣/ ٤٣٩ (عسب).

عليه أُخته أُمّ هاني بنت أبي طالب فدفع إليها عشرين درهماً، فسألت أمُّ هاني مولاتها العجميّة، فقالت: كم دفع إليك أمير المؤمنين عليه السلام؟

فقالت: عشرين درهماً، فانصرفت مسخطة، فقال لها: «انصرفي رحمك الله ما وجدنا في كتاب الله فضلاً لإسماعيل علىٰ إسحاق».

وبعث إليه من خراسان بنات كسرىٰ فقال لهنَّ: «أُزوّجكنّ؟»

فقلن له: لا حاجة لنا في التزويج؛ فإنّه لا أكفاء لنا إلّا بنوك، فإن زوَّجتنا منهم رضينا، فكره أن يؤثر ولده بما لا يعمّ به المسلمين[1].

وبعث إليه من البصرة من غوص البحر بتحفة لا يدرىٰ ما قيمتها، فقالت له ابنته أُمّ كلثوم: يا أمير المؤمنين، أتجمّل به ويكون في عنقي؟

فقال: «يا أبا رافع، أدخله إلىٰ بيت المال، ليس إلىٰ ذلك سبيل، حتّىٰ لا تبقىٰ امرأة من المسلمين إلّا ولها مثل ذلك».

وقام خطيباً بالمدينة حين ولي، فقال: «يا معشر المهاجرين والأنصار، يا معشر قريش، اعلموا والله أنّي لا أرزوكم[2] من فيئكم[3] شيئاً ما قام لي عذقٌ[4] بيثرب، أفترونني مانعاً ونفسي وولدي ومعطيكم، ولأسوّينَّ بين الأسود والأحمر؟»، فقال إليه عقيل بن أبي طالب، فقال: لتجعلني وأسوداً من سودان المدينة واحداً؟!

فقال له: «اجلس رحمك الله تعالىٰ، أما كان ههنا من يتكلّم غيرك؟ وما فضلك عليهم إلّا بسابقة أو تقوىٰ»[5].

---

(١) وقعة صفين: ١٢.

(٢) يقال: ما رزأته ماله، أي: ما نقصته. الصحاح ١/٥٣ (رزأ).

(٣) الفيء: الغنيمة والخراج. العين ٨: ٤٠٧.

(٤) العذق ـ بالكسر ـ: كل غصن له شعب. معجم مقاييس اللّغة ٤/٢٥٧ (عذق).

(٥) الكافي ٨/١٨٢ ح ٢٠٤.

ثمّ اللّباس، استعدىٰ[١] زياد بن شدّاد الحارثي صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله على أخيه عبيد الله بن شدّاد، فقال: يا أمير المؤمنين، ذهب أخي في العبادة، وامتنع أن يساكنني في داري، ولبس أدنىٰ ما يكون من اللّباس.

قال: يا أمير المؤمنين، تزيّنت بزينتك، ولبست لباسك.

قال: «ليس لك ذلك، إنّ إمام المسلمين إذا ولي أُمورهم لبس لباس أدنىٰ فقيرهم؛ لئلّا يتبيّغ[٢] بالفقير فقره فيقتله، فلأعلمنّ ما لبست إلّا من أحسن زيّ قومك ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[٣]، فالعمل بالنّعمة أحبُّ إليّ من الحديث بها»[٤].

ثمّ القسم بالسويّة والعدل في الرعيّة، ولّىٰ بيت مال المدينة عمّار بن ياسر، وأبا الهيثم بن التيّهان فكتب: «العربيّ، والقرشيّ، والأنصاريّ، والعجميّ، وكلّ من كان في الإسلام من قبائل العرب وأجناس العجم سواء»[٥].

فأتاه سهل بن حنيف بمولىٰ له أسود، فقال: كم تعطي هذا؟

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «كم أخذت أنت؟».

قال: ثلاثة دنانير، وكذلك أخذ الناس.

قال: «فأعطوا مولاه مثل ما أخذ ثلاثة دنانير».

---

(١) استعدىٰ الرجل: استعان به واستنصره. لسان العرب ١٥/ ٢٩ (عدىٰ).

(٢) التبيغ: الهيجان والغلبة. غريب الحديث لابن سلّام ١/ ١٦٠.

(٣) سورة الضحىٰ ٩٣: ١١.

(٤) نهج البلاغة ٢/ ١٨٧، والكافي ١/ ٤١٠ح٣، شرح نهج البلاغة ١١/ ٢٢، الخرائج ١: ١٨٧ح ٢١.

(٥) (سواء) لم ترد في «ح، س، م»، وما أثبتّه من المطبوع.

فلمّا عرف النّاس أنّه لا فضل لبعضهم على بعض إلّا بالتقوى عند الله، أتى طلحة والزبير عمّار بن ياسر وأبا الهيثم بن التيّهان، فقالا: يا أبا اليقظان، استأذن لنا على صاحبك.

قال: وعلى صاحبي إذن؟!

قد أخذ بيد أجيره وأخذ مكتله ومسحاته وذهب يعمل في نخلة في بئر الملك[1]، وكانت بئر ينبع سمّيت بئر الملك، فاستخرجها عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام وغرس عليها النخل، فهذا من عدله في الرّعيّة وقسّمه بالسويّة[2].

قال ابن دأب: فقلنا: فما أدنى طعام الرّعيّة؟

فقال: يحدّث الناس أنّه كان يطعم الخبز واللّحم، ويأكل الشعير والزّيت، ويختم طعامه مخافة أن يزاد فيه، وسمع مقلىً في بيته، فنهض وهو يقول: «في ذمّة عليّ بن أبي طالب مقلىً الكراكر»، قال: ففزع عياله وقالوا: يا أمير المؤمنين، إنّها امرأتك فلانة نحرت جزوراً في حيّها فأخذ لها نصيب منها فأهدى أهلها إليها، قال: «فكلوا هنيئاً مريئاً»، قال: فيقال: إنّه لم يشتك ألماً إلّا شكوى الموت، وإنّما خاف أن يكون هديّة من بعض الرّعيّة، وقبول الهديّة لوالي المسلمين خيانة للمسلمين.

قال: قيل: فما الصرامة[3]؟

قال: انصرف من حربه فعسكر في النخيلة، وانصرف الناس إلى منازلهم واستأذنوه، فقالوا: يا أمير المؤمنين، كلّت سيوفنا، ونصلت أسنّة

---

(١) بئر الملك: بالمدينة منسوبة إلى تبع. معجم البلدان ١/٣٠٢.

(٢) الخرائج ١/١٨٧ح ٢١، شرح الأخبار ١/٣٧٤، حلية الأبرار ٢/٢٥٧ح ١٠.

(٣) في المطبوع ونسخة «ح»: فالصرامة.

رماحنا، فأذن لنا ننصرف فنعيد بأحسن من عدّتنا، وأقام هو بالنخيلة.

وقال: «إنّ صاحب الحرب الأرق الذي لا يتوجّد من سهر ليله وظمأ نهاره، ولا فقد نسائه وأولاده؛ فلا الذي انصرف فعاد فرجع إليه، ولا الّذي أقام فثبت معه في عسكره أقام»، فلمّا رأىٰ ذلك دخل الكوفة فصعد المنبر، فقال: «لله أنتم! ما أنتم إلّا أُسد الشرىٰ في الدَّعة[1]، وثعالب روّاغة[2]، ما أنتم بركن يصال به، ولا زوافر[3] يفتقر إليها[4]، أيّها المجتمعة أبدانهم، والمختلفة أهواؤهم، ما عزّت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم[5]، مع أيّ إمام بعدي تقاتلون؟! وأيّ دار بعد داركم تمنعون؟! فكان في آخر حربه أشدُّ أسفاً وغيظاً وقد خذله الناس[6].

قال: فما الحفظ؟

قال: هو الذي تسمّيه العرب: العقل، لم يخبره رسول الله صلى الله عليه وآله بشيء قطّ إلّا حفظه، ولا نزل عليه شيء قطّ إلّا وعي به، ولا نزل من أعاجيب السماء شيء قطّ إلىٰ الأرض إلّا سأل عنه حتّىٰ نزل فيه: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[7].

---

(١) الدَّعة: خفض العيش. معجم مقاييس اللّغة ٦/٩٦ (دعع).

(٢) الرَّوَّاغ: الثعلب. وهو كثير الخداع والمكر. العين ٤/٤٤٥ (روغ).

(٣) الزَّوافر: جمع زافرة، وهي من البناء ركنه، ومن الرجل عشيرته وأنصاره وخاصّته.

(٤) في المطبوع: ولا زوافر عزّ يفتقر إليها، وما في المتن أثبتّه من النسخ.

(٥) في البحار: ما شاكم.

(٦) نهج البلاغة ١/٧٥ خطبة ٢٩، دعائم الإسلام ١/٣٩١، المسترشد للطبري: ٦٧٢ح ٣٤٢، الإرشاد ١/٢٧٣، البيان والتبيين ٢/٢٦، العقد الفريد ٤/١٦١، نثر الدرر ١/٢٧٢، مناقب ابن شهرآشوب ٢/١٠٧، الإمامة والسياسة ١/١٣٠.

(٧) سورة الحاقّة ٦٩: ١٢.

وأتى يوماً باب النبي صلى الله عليه وآله وملائكته يسلّمون عليه، وهو واقف حتّى فرغوا، ثمّ دخل على النبيّ صلى الله عليه وآله فقال له: «يا رسول الله، سلّم عليك أربع مائة ملك ونيّف.

قال: وما يدريك؟

قال: حفظت لغاتهم».

فلم يسلّم عليه ملك إلّا بلغة غير لغة صاحبه.

قال السيّد[1]:

فظلّ يعقد بالكفّين مستمعاً كأنّه حاسبٌ من أهل دارينا

أدّت إليه بنوع من مفادتها سفائن الهنديعلقن[2] الرّبابينا[3]

قال ابن دأب: وأهل دارينا: قرية من قرى أهل الشام، وأهل جزيرة أهلها أحسب قوم[4].

ثمّ الفصاحة، وثب الناس إليه فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما سمعنا أحداً قطّ أفصح منك ولا أعرب كلاماً منك، قال: «وما يمنعني وأنا مولدي بمكّة».

قال ابن دأب: فأدركت الناس وهم يعتبون[5] كلّ من استعان بغير الكلام الذي يشبه الكلام الذي هو فيه، ويتبعون الرّجل الذي يتكلّم ويضرب بيده على بعض جسده، أو على الأرض، أو يدخل في كلامه ما

---

(١) الظاهر أنّه السيّد الحميري؛ لذكره في آخر الكتاب عبارة السيّد مع الشعر، ووجدناه في ديوان السيّد الحميري، ولم أعثر عليه في ديوانه المطبوع.

(٢) في المطبوع: يحملن.

(٣) الربابين: جمع الرُّبّان رئيس الملّاحين. لسان العرب ١/ ٤٠٤ (ربن).

(٤) تفسير أبي حمزة الثمالي: ٣٣٩، التبيان ١٠/ ٩٨، مجمع البيان ١٠/ ١٠٧.

(٥) في المطبوع: يعيبون، وكذلك المورد التالي.

يستعين به ، فأدركت الأولىٰ وهم يقولون : كان عليه السلام يقوم فيتكلّم بالكلام منذ ضحوة[١] إلىٰ أن تزول الشمس ، لا يدخل في كلامه غير الذي تكلّم به ، ولقد سمعوه يوماً وهو يقول : «والله ما أتيتكم اختياراً ، ولكن أتيتُكُم سوقاً ، أما والله لتصيرنَّ بعدي سبايا[٢] ، يعيرونكم ويتعاير بكم[٣] ، أما والله إنّ من ورائكم الأدبر ، لا تبقي ولا تذر ، والنهّاس الفرّاس القتّال الجموح ، يتوارثكم منهم عشرة يستخرجون كنوزكم من حجالكم ، ليس الآخر بأرأف بكم من الأوّل ، ثمّ يهلك بينكم دينكم ودنياكم ، والله لقد بلغني أنّكم تقولون : إنّي أكذب ، فعلىٰ من أكذب ، أعلىٰ الله؟! فأنا أوّل من آمن بالله ، أم علىٰ رسوله؟! فأنا أوّل من صدَّق به ، كلّا والله أيّها اللّهجة ، عمتكم شمسها ، ولم تكونوا من أهلها ، وويل لأُمّه ، كيلاً بغير ثمن ، لو أنّ له وعاء ولتعلمنّ نبأه بعد حين ، إنّي لو حملتكم علىٰ المكروه الذي جعل الله عاقبته خيراً إذا كان فيه وله ، فإن استقمتم هديتم ، وإن تعوّجتم أقمتكم ، وإن أبيتم بدأت بكم ، لكانت الوثقىٰ التي لا تعلىٰ ، ولكن بمن؟ وإلىٰ من؟ أُداويكم بكم ، وأُعاتبكم بكم ، كناقش الشوكة بالشوكة أنّ يقطعها بها ، يا ليت لي من بعد قومي قوماً ، وليت أن أسبق يومي .

هنا لك لو دعوت أتاك منهم رجال مثل أرمية الحميم[٤][٥]

اللّهمَّ إنَّ الفرات ودجلة نهران أعجمان أصمّان أعميان أبكمان ، اللّهمَّ

---

(١) الضحوة : ارتفاع النهار بعد طلوع الشمس . تاج العروس ١٩ / ٦١٤ .

(٢) في المطبوع زيادة : سبايا .

(٣) في المطبوع : يغيرونكم ويتغايربكم ، وما أثبته من نسخة «ح ، س ، م» .

(٤) في نسخة «ح ، س» : الحمير .

(٥) ينسب هذا البيت لأبي بكير الهذلي ، ولم أعثر عليه في ديوانه ، وقد تمثّل به الإمام عليه السلام ، وجدته في تهذيب اللغة ٤ / ١٥ ، منسوباً إلىٰ أبي كبير .

سلّط عليهما بحرك، وانزع منهما نصرك، لا النزعة بأشطان[١] الرَّكيّ (أين القوم الذين)[٢] دعوا إلى الإسلام فقبّلوه، وقرؤوا القرآن فأحكموه؟! وهيّجوا إلى الجهاد فولهوا اللّقاح أولادها، وسلبوا السيوف أغمادها، وأخذوا بأطراف الرّماح زحفاً زحفاً، وصفّاً صفّاً، صفٌّ هلك، وصفٌّ نجا، لا يبشّرون[٣] بالنجاة، ولا يقرّون عن الفناء.

أُولئك إخواني الذّاهبون، فحقٌّ الثناء لهم[٤] أن يطيبا

ثمّ رأيناه وعيناه تذرفان وهو يقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

إلى عيشة بمثل بطن الحيّة، متى؟ لا متى لك منهم، لامتى»[٥].

قال ابن دأب: هذا ما حفظت الرّواة الكلمة، وما سقط من كلامه أكثر وأطول، ممّا لا يفهم عنه.

ثمّ الحكمة واستخراج الكلمة بالفطنة التي لم يسمعوها من أحد قطّ بالبلاغة في الموعظة، فكان ممّا حفظ من حكمته وصف رجلاً أن قال: «ينهى ولا ينتهي، ويأمر الناس بما لا يأتي، ويبتغي الازدياد فيما بقي، ويضيع ما أُوتي، يحبُّ الصالحين ولا يعمل بأعمالهم، ويبغض المسيئين وهو منهم، يبادر من الدُّنيا ما يفنى، ويذر من الآخرة ما يبقى، يكره الموت لذنوبه، ولا يترك الذّنوب في حياته»[٦].

---

(١) في نسختي «ح، س»: بأسكان، وما أثبتّه من المطبوع ونسخة «م» والمصادر.

(٢) ما بين القوسين لم يرد في نسخة «ح».

(٣) في نسخة «ح»: لا يسرون، وفي نسخة «س»: لا يتيسّرون، وما في المتن أثبته من المطبوع.

(٤) في المطبوع: يظمأ إليهم، وما أثبتّه من نسخة «س» والمصادر.

(٥) نهج البلاغة ١/١١٩، العقد الفريد ٤/٧٢ ـ ٧٣.

(٦) نهج البلاغة ٤/٣٨، تحف العقول: ١٥٧، خصائص الأئمّة: ١٠٩، أمالي

قال ابن دأب: فهل فكّر الخلق إلىٰ ما هم عليه من الوجود بصفته إلىٰ ما قال غيره.

ثمّ حاجة الناس إليه وغناه عنهم، إنّه لم ينزل بالناس ظلماء عمياء كان لها موضعاً غيره مثل مجيئ اليهود يسألونه ويتعنّتونه، ويخبر بما في التوراة وما يجدون عندهم، فكم من يهوديّ قد أسلم وكان سبب إسلامه هو؟!

وأمّا غناه عن الناس: فإنّه لم يوجد علىٰ باب أحد قطّ يسأله عن كلمة ولايستفيد منه حرفاً.

ثمّ الدّفع عن المظلوم وإغاثة الملهوف.

قال: ذكر الكوفيّون أنّ سعيد بن قيس الهمداني رآه يوماً ـ في شدّة الحرّ ـ في فناء حائط، فقال: يا أمير المؤمنين، بهذا الساعة؟!

قال: «ما خرجت إلّا لأعين مظلوماً، أو أُغيث ملهوفاً»[1].

فبينا هو كذلك إذ أتته امرأة قد خلع قلبُها، لا تدري أين تأخذ من الدُّنيا حتّىٰ وقفت عليه، فقالت: يا أمير المؤمنين، ظلمني زوجي وتعدّىٰ عليّ وحلف ليضربني، فاذهب معي إليه، فطأطأ رأسه، ثمّ رفعه وهو يقول: «لا والله حتّىٰ يؤخذ للمظلوم حقّه غير متعتع[2]، وأين منزلك؟».

قالت: في موضع كذا وكذا، فانطلق معها حتّىٰ انتهت إلىٰ منزلها، فقالت: هذا منزلي.

المفيد: ٣٣٠، أمالي الطوسي: ١١١ / ١٧٠، عيون الحكم المواعظ: ٥٥١، تاريخ مدينة دمشق ٤٧ / ٨٠.

(١) نهج البلاغة ٣ / ١١٤.

(٢) تعتعه: حركة بعنف وقلقلة، وفي الكلام: تردّد فيه. لسان العرب ٨ / ٤٠ (عتت).

قال: فسلّم فخرج شابٌّ عليه إزار ملوّنة فقال: «اتّق الله، فقد أخفت زوجتك».

فقال: وما أنت وذاك؟ والله لأحرقنّها بالنّار لكلامك؟

قال: وكان إذا ذهب إلى مكان أخذ الدرّة بيده، والسيف معلّق تحت يده، فمن حلّ عليه حكم بالدرّة ضربه، ومن حلّ عليه حكم بالسيف عاجله، فلم يعلم الشابُّ إلّا وقد أصلت السيف، وقال له: «آمرك بالمعروف، وأنهاك عن المنكر، وتردّ المعروف، تب وإلّا قتلتك».

قال: وأقبل النّاس من السكك يسألون عن أمير المؤمنين عليه السلام حتّى وقفوا عليه قال: فأُسقِط في يد الشابّ.

وقال: يا أمير المؤمنين، اعفُ عنّي عفا الله عنك، والله لأكوننَّ أرضاً تطأني، فأمرها بالدُّخول إلى منزلها وانكفأ، وهو يقول: «﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾، الحمد لله الذي أصلح بي بين مرأة وزوجها»[1].

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾[2].

ثمّ المروءة، وعفّة البطن والفرج، وإصلاح المال، فهل رأيتم أحداً ضرب الجبالَ بالمعاول فخرج منها مثل أعناق الجزر؟! كلّما خرجت عنق قال: «بشّر الوارث»[3] ثمّ يبدو له فيجعلها صدقة

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب ١/ ٣٧٤.

(٢) سورة النساء ٤: ١١٤.

(٣) الكافي ٧/ ٥٥ح ٩، دعائم الإسلام ٢/ ٣٤١، تهذيب الأحكام ٩/ ١٤٨ح ٦٠٩، السنن الكبرى للبيهقي ٦/ ١٦٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤/ ١١٠.

بتلّة[١] إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ لِيصرف النّار عن وجهه، ويصرف وجهه عن النّار، ليس لأحد من أهل الأرض أن يأخذوا من نبات نخلة واحدة حتّىٰ يطبق كلّما ساح عليه ماؤه.

قال ابن دأب: فكان يحمل الوسق فيه ثلاث مائة ألف نواة، فيقال له: ما هذا؟

فيقول: «ثلاثمائة ألف نخلة إن شاء الله»، فيغرس النوىٰ كلّها فلا تذهب منه نواة ينبع وأعاجيبها.

ثمّ ترك الوهن والاستكانة، أنّه انصرف من أُحد وبه ثمانون جراحة يدخل الفتائل من موضع ويخرج من موضع، فدخل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله عائداً وهو مثل المضغة[٢] علىٰ نطع، فلمّا رآه رسول الله صلى الله عليه وآله بكىٰ، فقال له: «إنّ رجلاً يصيبه هذا في الله، لحقٌّ علىٰ الله أن يفعل به ويفعل».

فقال مجيباً له وبكىٰ: «بأبي أنت وأُمّي، الحمد لله الذي لم يرنِ ولّيت عنك، ولا فررت، بأبي أنت وأُمّي كيف حرمت الشهادة؟

قال: إنّها من ورائك إن شاء الله.

قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أبا سفيان قد أرسل موعدة بيننا وبينكم حمراء الأسد.

فقال: بأبي أنت وأُمّي، والله لو حملت علىٰ أيدي الرّجال ما تخلّفت عنك».

قال: فنزل القرآن: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا

---

(١) أي قطعية، بحيث لا خيار ولا عور فيها. معجم مقاييس اللّغة ١/ ١٩٥.

(٢) المضغة: قطعة لحم. العين ٤/ ٣٧٠.

وَهَنُوا لِما أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[١]. ونزلَت الآية فيه قبلها: ﴿وَمَا كَانَ لِنفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْها وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾[٢]»[٣].

ثمّ ترك الشكاية في ألم الجراحة، شكت المرأتان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ما يلقى، وقالتا: يا رسول الله، قد خشينا عليه ممّا تدخل الفتائل في موضع الجراحات من موضع إلى موضع، وكتمانه ما يجد من الألم.

قال: فعُدَّ ما به من أثر الجراحات عند خروجه من الدُّنيا فكانت ألف جراحة من قرنه إلى قدمه صلوات الله عليه.

ثمّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال: خطب النّاس وقال: «أيها الناس، مروا بالمعروف وانهو عن المنكر، فإنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقرّب أجلاً، ولا يؤخّر رزقاً»[٤].

وذكروا أنّه توضّأ مع الناس في ميضأة[٥] المسجد فزحمه رجل فرمى به فأخذ الدرّة فضربه، ثمّ قال له: «ليس هذا لما صنعت بي، ولكن يجيئ من هو أضعف منّي فتفعل به مثل هذا فتضمن».

قال: واستظلّ يوماً في حانوت من المطر، فنحّاه صاحب

---

(١) سورة آل عمران ٣: ١٤٦.
(٢) سورة آل عمران ٣: ١٤٥.
(٣) تفسير سعد السعود: ١١٢.
(٤) الكافي ٥/٥٧ح٦، تفسير القمي ٢/٣٦.
(٥) الميضأة: موضع يتوضأ منه. لسان العرب ١/١٩٥.

الحانوت[١].

ثمّ إقامة الحدود لو علىٰ نفسه وولده، أحجم[٢] الناس عن غير واحد من أهل الشرف والنباهة، وأقدم هو عليهم بإقامة الحدود، فهل سمع أحدٌ أنّ شريفاً أقام عليه أحد حدّاً غيره؟

منهم: عبيد الله بن عمر بن الخطّاب.

ومنهم: قدامة بن مظعون.

ومنهم: الوليد بن عقبة بن أبي معيط، شربوا الخمر، فأحجم الناس عنهم وانصرفوا وضربهم بيده؛ حيث خشي أن تعطّل الحدود.

ثمّ ترك الكتمان علىٰ ابنته أُمّ كلثوم، أهدىٰ لها بعض الأمراء عنبراً، فصعد المنبر فقال: «أيّها الناس، إنّ أُمّ كلثوم بنت عليّ خانتكم عنبراً، وأيم الله، لو كانت سرقته لقطعتها من حيث أقطع نساءكم».

ثمّ القرآن وما يوجد فيه من مغازي النبيّ صلى الله عليه وآله ممّا نزل من القرآن وفضائله وما يحدِّث الناس ممّا قام به رسول الله صلى الله عليه وآله من مناقبه التي لا تحصىٰ.

ثمّ أجمعوا أنّه لم يردَّ علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله كلمة قطّ، ولم يَكِعَّ عن موضع بعثه، وكان يخدمه في أسفاره، ويملأ رواياه وقِرَبِه، ويضرب خباءه، ويقوم علىٰ رأسه بالسيف حتّىٰ يأمره بالقعود والانصراف، ولقد بعث غير واحد في استعذاب ماء من الجحفة وغلظ عليه الماء فانصرفوا ولم يأتوا بشيء، ثمّ توجّه هو بالراوية، فأتاه بماء مثل الزلال، واستقبله أرواح، فأعلم بذاك النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال: «ذلك جبرائيل في ألف، وميكائيل

---

(١) مكارم الأخلاق ١ / ٢٢٤ ح ٧.

(٢) أحجم من الأمر: إذا جبن عنه. إصلاح المنطق لابن السكيت: ١٥.

في ألف ، ويتلوه إسرافيل في ألف»[١] .

فقال السيّد الشاعر[٢] :

ذاك الذي سـلّم فـي ليـلة عـليه مـيكال وجـبريل

جبريل في ألف وميكال في[٣] ألف ويـتلوهم سـرافـيل

ثمّ دخل الناس عليه قبل أن يستشهد بيوم ، فشهدوا جميعاً أنّه قد وفّر فيأهم ، وظلف عن دنياهم ، ولم يرتش في أحكامهم[٤] ، ولم يتناول من بيت مال المسلمين ما يساوي عقالاً ، ولم يأكل من مال نفسه إلّا قدر البلغة ، وشهدوا جميعاً أنّ أبعد الناس منهم بمنزلة أقربهم منه .

آخر كتاب ابن دأب

والحمد لله والمنّة ، وصلّىٰ الله علىٰ محمّد وآله .

(١) قرب الإسناد : ١١١ح ٣٨٧ ، الاحتجاج ١ /٤٧ .

(٢) ديوان السيّد الحميري : ١٣٢ .

(٣) في المطبوع : ميكال في ألف وجبريل ، وما أثبتّه من النسخ .

(٤) في المطبوع : في إجراء احكامهم ، وما أثبتّه من النسخ .